



سوداني يثق بجمال بلاده

حسن موسى

رسام وطنه الفن العالمي



فاروق يوسف
كاتب عراقي

بالرغم من إعجابه الشديد بتجربة سلفه أحمد شبرين، غير أنه لا يزعم الانتماء إلى التيار الحرفي العربي ولا يهوى القيام بذلك. فهو لا يميل إلى ذلك التعبير الذي يدعو إلى استلهاج جماليات الحرف العربي في الرسم باعتباره محاولة لاستعادة هوية فنية ضائعة.

علينا أن نأخذ بنظر الاعتبار أنه سوداني وهو ما يترك شيئاً ناتئاً من أفريقيا تحت جلده. كما أنه يقيم منذ أربعين سنة في فرنسا وهو ما يجعله منفجحا على العالم بطريقة يمكنه من خلالها أن ينسجم مع هوية غير منغلقة على نفسها.

الرجل الماسور بجمال الخط العربي كانت عينه تذهب بعيداً. إلى الهند والصين إضافة إلى أنه يعثر أحياناً على ضالته في فنون عصر النهضة الأوروبية لكي يمسك بعناصر هويته الكونية. "لم لا سيكون العالم كما أرى"، ذلك لسانه.

خلاصة جمال الأزمنة

الرسم بالنسبة إليه لا يتوقف عند نقطة بعينها بل إنه يخترق الأزمنة مثلما يسافر بين الأمكنة لكي يلتقط مفرداته التي يتشكل منها عالم سيكون في النهاية بمثابة اكتشاف شخصي. هو عالمه الذي يمزج الواقع بالوهم. تلك نزعة الفردية التي حررت من الانتماء إلى الجماعات الفنية المحلية والعالمية على حد سواء، فكان رساماً مثلما يجب أن يكون ومثلما يجب للرسم أن يكون.

حسن موسى من الكبار الذين يعترفون بفشل الحروفية بالرغم من أنه لا يتحاشى التماس معها أحياناً. كما أنه لا يتغلق على هوية بعينها بالرغم من أنه يتلذذ باستعادة مشاهد سودانية خالصة يستعيرها من طفولته.

عندما عرضت "مؤامرة الدجاج" الذي أقامه في قاعة الفن الأفريقي بلندن قبل سنوات فهو يستند إلى موضوع فيه الكثير من الحزن لطالما شكّل مصدر قلق بالنسبة إلى الفنانين وهم يراقبون تحولات سوق الفن.

يقول موسى "حين لا يثق أحد بأحد وتنامر الجميع على الجميع" تلك هي مؤامرة الدجاج. ومن خلال أسلوبه الفني هو مزيج شخصياته القادمة من عصور مختلفة. لذلك نراه يستلهم الحكايات التراثية كما ينتج أعمالاً على غرار أيقونات عصر النهضة ويكون في الوقت نفسه انطباعياً ماسوراً بالضوء.



● الرسم بالنسبة إليه لا يتوقف عند نقطة بعينها، بل إنه يخترق الأزمنة مثلما يسافر بين الأمكنة، لكي يلتقط مفرداته التي يتشكل منها عالمه.

موسى المقيم عاطفياً بين قارتين هو ابن تجربته الفنية التي تتجاوز الأطر التقليدية. فهو رسام يعيش لذة الرسم من غير أن يفكر في الجهة التي تقود إليها تلك اللذة. لا يسمى نفسه إلا باعتباره ابناً للثقافات التي صنعت ثروته البصرية، فيما تظل يده تلعب بالحروف كما لو أنها كائنات قادمة من عالم خفي.

عاش موسى حياته معارضا سياسياً. وكان مبدئياً في معارضته. لقد رفض النظام السياسي "حكومة الإنقاذ التي تزعمها حسن البشير" في السودان بغض النظر عن تحولات وجوهها. لأنه كان فناناً سياسياً غير أنه لم يجتدل فنه بحيث يكون خطاباً مقابلاً لخطاب السلطة. لقد تنزه بفنه فصار ينتج فناً جميلاً يندد بالقبح.

اكتشف معارضته السياسية في حريته الفنية. فصارت استعراضاته الأدائية بمثابة تنديد بممارسات النظام القمعية. درس الحرية مقابل درس القمع.

رسم على الأرض ما يمكن اعتباره خارطة روحية لشعبه الذي يتوق إلى الحرية. المتأهات التي صار يرسمها هي أشبه بنزهة عاطفية في مقابل المتأهات التي خطط لها النظام لكي تكون سجونا. كان موسى ولا يزال هو مثال الرسام الوطني المستقل الذي أدرك أنه بإمكان فنه أن يحرر شعبه من قبح سياسي الحكم. إنه يرى العالم جميلاً من خلال الفن لذلك فإنه يثق بجمال بلاده.

المدحش في تجربة موسى أنها تضعنا أمام مسعى للعودة إلى المحلية من خلال الخوض في متاهات العالمية. غير أن الرسام لا يعول كثيراً على ما يمكن أن نعتبره نتائج مدهشة.

من هم في جيلي من الأوروبيين. اعمل كشخص يمتلك عدة أدراج، فهناك درج الخط العربي، درج الرسم الأوروبي ودرج الرسم بالمائيات الصينية وهكذا. إنني أحياناً بكل هذه العناصر المركبة. وهي تمدني بعلبة أدوات تسمح لي بعمل ما أحب من صور.

على مستوى عربي يمكن اعتبار موسى فناناً نادراً. فهو يعترف بمرجعياته العالمية المتعددة. كما أنه لا يخشى من القيام بعمليات تركيب من أجل التوصل إلى عالم، هو صنعة الخلفيات في التلفزيون السوداني. أقام موسى أكثر من أربعين معرضاً في مدن عالمية مختلفة كما أصدر أكثر من عشرين كتاباً نذكر منها ما هو موجه للأطفال؛ مثل "حكايات فاطمة السمحة والملك الغول"، "الأحاجي السودانية لبعده الله الطيب"، "حكايات من كلية وديمة"، وهناك كتب لها علاقة بشغفه بالخط العربي مثل "قاموس فرنسي إنجليزي كله بالعربي"، "حكايات الخطاطين والسلطين"، "هل رأيت الطائر؟" و"أبجدية شهرزاد".

لم تمنعه سودانيته وبالأخص على المستوى السياسي من استخراج مفهوم مختلف عن الفن باعتباره جسراً يمتد بين الحضارات. ذلك ما جسده من خلال عمليات التناسل مع الأعمال الفنية العالمية وبالأخص الأوروبية منها. يعتبر موسى الفن العالمي إرثاً شخصياً وهو الوارث الذي يحق له أن يستعير منه عناصر لوحته، سواء على مستوى شكلي أو على مستوى فكري. ذلك ما يمكن أن نسميه بالتناسل البصري وهو ما برع الفنان السوداني في إنجازه متجرداً من أي شبهة انتحال.

لقد استعار موسى على سبيل المثال مفردة اللتين من الفرنسي الرومانسي ديلاكروا وصار يستحضر من خلالها حكايات شعبية سودانية ليعيد روايتها كما لو أنها من نتاج العصر الحديث. غالباً ما يتحدر الرسام من الشكل لينقب عميقاً في الفكرة.

عالم عامر باللذة

يقول موسى "الفن الأوروبي، اليوم، وكصانع صور، أو عندما أتحدث عن هذا المجال، فإنني أجد نفسي في داخل تاريخ الفن الأوروبي. أشعر بنفسي وريفاً له. ولو أنني أشعر في نفس الوقت بانني وريث تواريخ أخرى ربما جهلها

